البشرى بالأجر الكبير

لمن صبر على فقد الولد الصغير

رمزي صالح محمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البشرى بالأجر الكبير لمن صبر على فقد الولد الصغير

جمعه ورتبه

رمزي صالح محمد

٢٤ جُمادَى الأولى ١٤٤٤

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد، فهذه رسالة قصيرة وكلمات يسيرة جمعتها من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيها تسلية وبشرى لإخواني وأخواتي من المؤمنين والمؤمنات، ممن فقدوا أولادهم وفِلْذات أكبادهم، وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، انتقيت أصحها وبينت بعض معانيها من كلام أهل العلم. وقد جعلتها في ستة أبواب:

الباب الأول: ثواب من مات له ولد

الباب الثاني: ثواب من مات له ثلاثة من الولد أو اثنان

الباب الثالث: ما يقوله من مات له أحد

الباب الرابع: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وفعل عندما مات ابنه إبراهيم، وكذلك عندما مات ابن ابنته.

الباب الخامس: صبر الصحابية الجليلة أم سُلَيْمٍ رضي الله عنها على فقد ابنها

الباب السادس: رؤيا لأحد العلماء فيها البشرى لمن مات له ولد صغير.

قال الله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]

قال علقمة في هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضَى». رواه الطبري في تفسيره [١]

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

الباب الأول: ثواب من مات له ولد

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». رواه البخاري في صحيحه[٢]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «صَفِيَّهُ» هو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت. وقوله «ثم احتسبه» أي صبر على فقده راجيا الأجر من الله على ذلك، والاحتساب هو طلب الأجر من الله تعالى خالصا.[٣]

---

[١] «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢١) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٣٨)

[٢] «صحيح البخاري» (٦٤٢٤)

[٣] «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني (١١/ ٢٤٢)

٢-وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الرَّقُوبَ فيكم؟ قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: ليس ذاك بالرَّقُوبِ، ولكنه الرجل الذي لم يُقَدِّم من ولده شيئا». رواه مسلم في صحيحه[٤]

قال النووي رحمه الله: «أصل الرَّقُوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد، ومعنى الحديث أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فَرَطًا وسَلَفًا». [٥]

٣-وعن أبي حسان قال: قلتُ لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فهل سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا تُطَيِّبُ به أنفسَنا عن موتانا؟ قال: «نعم، صغارهم دَعَامِيصُ الجنة، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه كما آخذ أنا بِصَنِفَةِ ثوبك هذا، فلا يفارقه حتى يدخله الله وأباه الجنة». رواه مسلم في صحيحه [٦]

قال النووي: «صغارهم دَعَامِيصُ الجنة» دَعَامِيصُ جمع دُعْمُوصٍ، وهو دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها. و«بِصَنِفَةِ ثوبك» أي: بِطَرَفِ ثوبك.[٧]

---

[٤] «صحيح مسلم» (٢٦٠٨)
[٥] «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٦٢)
[٦] «صحيح مسلم» (٢٦٣٥) و«مسند أحمد» (١٠٣٣١)
[٧] «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٨٢)

٤-وعن قُرَّةَ بن إياس رضي الله عنه أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس إليه، وكان يأتي معه بابن له صغير، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما: «أتحبه؟» فقال الرجل: أَحَبَّكَ اللهُ كما أُحِبُّهُ، فمات الصبي، فامتنع الرجل من الحضور، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما لي لا أرى فلانا؟» قالوا: يا رسول الله، مات ابنه الذي رأيته، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فعزاه عليه، ثم قال: «يا فلان، أيما كان أحب إليك؛ أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟» قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي. قال: «فذاك لك» فقال رجل: يا رسول الله، أله خاصة أم لنا كلنا؟ فقال: «بل لكم كلّكم». رواه النَّسائي بإسناد صحيح [٨]

٥- وعن أبي سَلْمَى رضي الله عنه -راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ، ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يُتَوَفَّى فيحتسبه والداه». رواه أحمد والنَّسائي بإسناد صحيح [٩]

«بَخٍ بَخٍ» هي كلمة تقولها العرب عند الرضا والإعجاب.

---

[٨] «سنن النسائي» (١٨٧٠) و(٢٠٨٨) و«مسند أحمد ط. الرسالة» (١٥٥٩٥) و«المعجم الكبير للطبراني» (٦٦) و«شعب الإيمان» للبيهقي (٩٢٩٧) وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح على شرط الصحيح. «فتح الباري» (٣/ ١٢١) و(١١/ ٢٤٣) وقال الألباني ومحققو المسند: إسناده صحيح.

[٩] «مسند أحمد ط. الرسالة» (١٨٠٧٦) و«السنن الكبرى للنسائي» (٩٩٢٣) و«صحيح ابن حبان» (٥٤٩)، وقال الألباني ومحققو المسند: صحيح

الباب الثاني: ثواب من مات له ثلاثة من الولد أو اثنان.

٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من الناس مسلمٌ يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ، إلا أدخله الله الجنة؛ بفضل رحمته إياهم». رواه البخاري في صحيحه[١٠]

قال العلماء: «لم يبلغوا الحِنْثَ» الحِنْثُ هو الإثم، أي أنهم لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب عليهم فيه الإثم، فهم صغار لم يجرِ عليهم القلم، وخص الصغير بذلك لأن الشفقة عليه أعظم والحب له أشد والرحمة له أوفر. وقوله «بفضل رحمته إياهم» أي بفضل رحمة الله للأولاد، هذا ما رجحه الحفاظ ابن عبد البر وابن رجب وابن حجر، قال ابن رجب: يعني أن الله يرحم أطفال المسلمين رحمة تامة، حتى تفضل عنهم، فيدخل آباؤهم في فضل تلك الرحمة. وقيل: إن الضمير في «رحمته» للأب لكونه كان يرحمهم في الدنيا فيجازى بالرحمة في الآخرة، وبسبب شدة حزنه على فراقهم الناشئ عن قوة محبته لهم ورقة قلبه وعطفه عليهم، فيثيبه الله على هذه الآلام النفسية التي يقاسيها بسبب شدة وجده وصبره واحتسابه لهم عند الله بالجنة ونعيمها.[١١]

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ من الولد فتمسه النارُ إلا تَحِلَّةَ القسم». رواه البخاري ومسلم[١٢]

---

[١٠] «صحيح البخاري» (١٣٨١)

[١١] «فتح الباري» (٣/ ١٢٠) و«التمهيد - ابن عبد البر» (٤/ ٣١١ ت بشار) و«تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال» لابن رجب (ص٨) و«منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» (٢/ ٣٦٧)

[١٢] «صحيح البخاري» (٦٦٥٦) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٢)

معنى «إلا تَحِلَّةَ القسم» إلا بقدر ما يبر الله عز وجل بقسمه، لأنه عز وجل أقسم بورود الناس جميعا على النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] والقسم وإن لم يكن صريحا في الآية، إلا أن معناه مستفاد من قوله عز وجل ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ كما قال أهل العلم، ومعنى ورود النار في الآية أي المرور على الصراط الذي يمر فوق جهنم، فكل الناس لابد لهم من المرور على الصراط، فمنهم من تأخذه النار، ومنهم من ينجو، نسأل الله عز وجل النجاة.[١٣]

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتت امرأةٌ النبيَ صلى الله عليه وسلم بصبي لها فقالت: يا نبي الله، ادع الله له، فإنه يشتكي، وإني أخاف عليه، فلقد دفنتُ ثلاثةً قال: دفنتِ ثلاثةً؟ قالت: نعم قال: لقد احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شديدٍ من النار». رواه مسلم في صحيحه [١٤]

معنى «لقد احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شديدٍ من النار» أي امتنعت بمانع وثيق واحتميت بحمى عظيم من النار.[١٥]

٩-وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النساء طلبن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يكون خاصا بهن يعلمهن فيه مما علمه الله، فأجابهن إلى ذلك، وكان مما قاله لهن في ذلك اليوم: «أيما امرأةٍ مات لها ثلاثة من الولد، كانوا لها حجابا من النار. فقالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان». رواه البخاري ومسلم [١٦]

---

[١٣] «فتح الباري» (٣/ ١٢٣)

[١٤] «صحيح مسلم» (٢٦٣٦)

[١٥] «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٨٣) و«شرح سنن أبي داود لابن رسلان» (١٣/ ٢٠١)

[١٦] «صحيح البخاري» (١٢٤٩) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٤)

الباب الثالث: ما يقوله من مات له أحد

١٠- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرْنِي في مصيبتي، وأَخْلِفْ لي خيرا منها، إلا أَجَرَهُ الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم». رواه مسلم في صحيحه[١٧]

قولها: «فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم» يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد أبي سلمة.

الباب الرابع: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وفعل عندما مات ابنه إبراهيم، وكذلك عندما مات ابن ابنته.

١١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وُلِدَ له ولد - وذلك من مارية القبطية- فسماه إبراهيم، على اسم أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ثم بعد ذلك مات هذا الولد وهو رضيع. قال أنس: لقد رأيته وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنتَ يا رسولَ الله؟! فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم قال: «إن العين تدمع،

---

[١٧] «صحيح مسلم» (٩١٨)

والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يَرْضَى ربُنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. [١٨]
ومعنى «يجود بنفسه» أي في النزع الأخير عند خروج الروح. و«إنها رحمة» أي إن بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إنما هو رحمة له ورقة قلب عليه، وليس من الجَزَع. [١٩]

١٢- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن ابنا لها في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها، فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مُسَمًّى، فلتصبر ولتحتسب»، فعاد الرسول، فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها، قال: فقام النبي صلى الله عليه وسلم، وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وانطلقتُ معهم، فَرُفِعَ إليه الصبي ونفسه تَقَعْقَعُ، ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «هذه رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». رواه البخاري ومسلم [٢٠]

معنى «ونفسه تَقَعْقَعُ» أي تتحرك وتضطرب ولها صوت وحشرجة، أي أنه كان في الاحتضار. [٢١]

---

[١٨] «صحيح البخاري» (١٣٠٣) و«صحيح مسلم» (٢٣١٥)

[١٩] «فتح الباري» (٣/ ١٧٤)

[٢٠] «صحيح البخاري» (٥٦٥٥) و«صحيح مسلم» (٩٢٣)

[٢١] «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٢٢٥) و«فتح الباري» (١/ ١٧٥)

الباب الخامس: صبر الصحابية الجليلة أم سُلَيْمٍ رضي الله عنها على فقد ابنها

١٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات ابن لأبي طلحة من أم سُلَيْمٍ، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فَقَرَّبَتْ إليه عشاء، فأكل وشرب، فقال: ثم تَصَنَّعَتْ له أحسن ما كان تَصَنَّعُ قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تَرَكْتِنِي حتى تلطخْتُ ثم أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله لكما في غابِرِ ليلتكما. قال أنس: فحملت وولدت غلاما، فأول ما ولدته أرسلته معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فَحَنَّكَهُ وسماه عبد الله». رواه البخاري ومسلم[٢٢]

قال أحد الأنصار: لقد رأيتُ لذلك الغلام سبعة بنين كلّهم قد ختم القرآن.[٢٣] وهذا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأم سُلَيْم هي أم أنس بن مالك، وأبو طلحة هو زوج أمه، ومعنى «ثم تَصَنَّعَتْ له أحسن ما كان تَصَنَّعُ قبل ذلك فوقع بها» أي تزينت وتجملت وتعرضت له ليجامعها ففعل. وقولها: «أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا» أي لو أن قوما أعاروا قوما عارية، ثم بعد فترة طلبوا عاريتهم، هل لمن استعارها منهم أن يمتنع عن ردها؟ وهي تشير بذلك إلى أن ابنهما كان عارية لهما من الله عز

---

[٢٢] «صحيح البخاري» (١٣٠١) و(٥٤٧٠) و«صحيح مسلم» (٢١٤٤)

[٢٣] رواه ابن سعد في «الطبقات الكبير» (١٠/ ٤٠٤ ط الخانجي) عن عَبايَة بن رفاعة بن رافع بن خديج، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح «فتح الباري» (١/ ٢٧٠)

وجل، ثم استرد منهما عاريته، وهذا المثل الذي ضربته لزوجها يدل على صلاحها وفطنتها وكمال عقلها. وقوله: « تَرَكْتِنِي حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني!» أي ما كان ينبغي أن تفعلي ذلك، والمراد من التلطخ إصابته بالجنابة. و«بارك الله لكما في غابر ليلتكما» يعني بارك الله لكما في ليلتكما الغابرة، أي الماضية. [٢٤]

الباب السادس: رؤيا لأحد العلماء فيها البشرى لمن مات له ولد صغير.

قال محمد بن خلف - المعروف بوكيع -: «كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة، قد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئا كثيرا، قال: فمات، فجئت أعزيه، فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، فقلتُ: يا أبا إسحاق أنتَ عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب، ولقنته الحَدِيث والفقه؟ قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوم حار شديد حره، فقلتُ لأحدهم اسقني من هذا الماء، فنظر إليَّ وقال: ليس أنت أبي، فقلتُ: ومن أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا فِي دار الدنيا وخَلَّفْنا آباءنا، نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيتُ موته». رواها الخطيب البغدادي في تاريخه [٢٥]

---

[٢٤] «فتح المنعم شرح صحيح مسلم» لموسى شاهين لاشين (٩/ ٤٣١) و«شرح رياض الصالحين لابن عثيمين» (١/ ٢٦٨)

[٢٥] تاريخ بغداد ت بشار» (٦/ ٥٢٢) وأوردها ابن ناصر الدين في «برد الأكباد عند فقد الأولاد» ص٣٥